إشكالية الحرب العادلة في فكرمايكل والتزر

عشاب فطيمة الزهرة* /طالبة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
إشراف :اد. خليفي بشير/جامعة معسكر

الملخص:

تهدف هاته الدراسة الى تقديم تلك التبريرات التي تشرعن لمفهوم الحرب العادلة وفق ماذهب اليه المفكر الامريكي مايكل والتزر في تنظيراته الفلسفية السياسية حول مايعرف بالحرب العادلة لتوضيح اتيقياه، في البدء نجده يستهل حديثه عن فحوى هاته الحرب لينطلق بعد ذلك في تبيان التبريرات والاسباب التي تدفع الى اللجوء لمثل هاته الحروب، لنتبين مدى ارتباط الحرب والتقنين الواقعي أي مدى التجسيد الفعلي لتنظرات الحرب على أرض الواقع، لنحاول من خلال هاته الجدلية الاجابة عن الاشكالية الرئيسية ألا وهي ماهي تبريرات الحرب العادلة وفق ما ذهب اليه مايكل والتزر؟وهل استحدث هذا النوع من الحروب لشرعنتها، أما أن الاعمال الاجرامية للحروب لم تجد لها من ستار وهمي سوى التخفي وراء مفهوم الحرب العادلة.

الكلمات المفتاحية:
الحياة الأخلاقية، الارهاب، الحرب العادلة، الحرب غير العادلة، التقنين الحربي، الصيغة الشرعوية.

* باحثة- مخبر تطوير للبحث في العلوم الإجتماعية جامعة د. مولاي طاهر، سعيدة

توطئة:

تعد الحرب طرحا سياسيا، فلسفيا وأخلاقيا فهي كمفهوم يستدعي التفكير في واقعه الراهن وهذا ما دعى اليه مايكل والتزر من خلال حديثه عن مفهوم الحرب العادلة، مما دفعنا بالضرورة للاشتغال حول إشكالية الحرب العادلة واللاعادلة، إننا في خضم هذا الطرح نتناول ظاهرة شغلت الإنسانية منذ حقب خلت وقمنا بمعالجتها من منظار فلسفي وبمنطق عقلاني، كمقدمة ضرورية لعلاجها بصورة اتيقية من خلال ما اصطلح عليه بأخلاقيات الحرب، نظرا لكونها لعبت دورا بالغ الأهمية عبر مختلف الأزمنة والعصور كما أنها شكلت دورا أساسيا في تغيير خريطة العلاقات بين الدول، ولابد من دراستها بإبراز مدى التضايف بينها وبين بزوغ ماتعارف عليه بالصيغة الشرعوية للحرب وفق الأخلاقيات الجديدة في الحقبة المعاصرة، وهذا سعيا منا للارتقاء بالإنسانية نحو غد أفضل يزيد في سعادتها وينقص من معاناتها.

أولا: مايكل والتزر وفكرة للحرب العادلة

"يعتبر والتزر من أهم منظري فلسفة الحرب العادلة والارهاب* في الفلسفة المعاصرةحيث يعد كتابه(الحرب العادلة** وغير العادلة*** حجاج أخلاقي مع أمثلة تاريخية)من أهم الاعمال الفلسفية المعاصرة في موضوع الحرب العادلة كما يتميز والتزر بنظريته في العدالة وإنتمائه الى التيار الجمهوري، وارتبط في الستينات من القرن العشرين بالحركات السياسية المتصلة بالدفاع عن الحقوق المدنية ومناهضة الحرب على فيتنام، وأهمية النقاش الذي أثارته نظرية جون راولز في العدالة، هنا قدم والتزر مساهمة في الحرب وفي العدالة تقوم على التمييز بين حروب عادلة وأخرى غير عادلة."[3]

إن فكرة الحرب العادلة بمضمونها متأصلة في كتابات الفكر القديم ولكنها كمفهوم معاصر اتخذت طرحا جديد مع والتزر من خلال كتاباته التي عبرت عن الحرب العادلة والحرب غيرعادلة، وهذه المساهمة

---

* **الارهاب:** استخدام العنف غير القانوني – (أو التهديد به)بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف.. انظر الكيالي عبد الوهاب الكيالي،الموسوعة السياسية،ج1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1،1974، ص153) و يعرف الارهاب بأنه كل عمل من أعمال العنف المسلح الذي يرتكب لتحقيق أهداف سياسية أوفلسفية، إيديولوجية أودينية (انظرمجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،التواصل، جامعة باجي مختار عنابة الجزائر،عدد34، جوان2013 ،ص155).

** "تعاليم الحرب العادلة يجب أن تنبع من نية حسنة كما يجب الوفاء بهتعاليم الحرب العادلة قبل تبرير العمل العسكري كما يجب توفير ضمانة لأولئك القلقين من أنه إذا ما رخص بالتدخل الإنساني فإن ذلك قد يؤدي الى تدخل الدول، كذلك يؤكد تقليد الحرب العادلة أنه إذا ما كانت أرواح العديد من الأبرياء معرضة للخطر فإنه يجب عدم القيام بالتدخل حتى إذا كانت على مضض."[1]انظرعلي القيم،**الأخلاقيات والحرب**، مجلة المعرفة ، العدد614، نوفمبر2014، ص14

*** **الحرب اللاعادلة:**أو العدوانية وهي التي تعتدي فيها قوة أجنبية على شعب مسالم،وينبع الدافع للعدوان من نعرة عدوانية عنصرية أو دينية أوسياسية ومن عقدة السيطرة والاستعلاء." انظر:مجموعة أساتذة وباحثين، **ندوة بعنوان الفلسفة والحرب**، قاعة الندوات بيت الحكمة، التوقيت10:00 الخميس 2016/03/17"

[3] سالم حسين العادي، **نظرية الحرب العادلة من منظور فلسفي ميكائيل والتزر**، ص55

الفلسفية والاتيقة منه جاءت كرد فعل نتيجة الاوضاع السياسية الحربية المتأزمة مقابل مطالبة الافراد بحقوقهم المستلبة.

"ينتصر والتزرإلى الرأي القائل أن ثمة مبادىء أخلاقية في ميدان الحرب، بل يذهب الى أبعد من ذلك يؤكد على قاعدة أخلاقية أساسية تعد بمنزلة تحد حقيقي للفكر الاخلاقي، وهي أنه إذا تحققت الاخلاق في مجال الحرب فإنها تتحقق في جميع المجالات، وإن تلك المبادىءالاخلاقية لابد أن تكون عالمية أوضمن الاخلاق في حدودها الدنيا ولايمكن أن تكون الحرب خارج التفكير الاخلاقي والمبادئ الاخلاقية."[1]

عندما نتحدث عن أخلاقيات للحرب فهناك من يبدى استغرابا للموضوع، ويرى أن هذا الامر هو نوع من الغرابة والدهشة حيال ذلك بالقول هل فعلا للحرب أخلاقيات؟ فمن غير المعقول أن نجمع بين الاخلاق والحرب فكلا الموضوعين على اختلاف صارخ ولكن مع والتزر نجده يقف واثقا من القول بوجود فعلي للأخلاقيات ضمن المجال الحربي بل يذهب الى أبعد من ذلك بكثير من قوله بأنه إذا ما تحققت الأخلاق للحرب فإنها تتحقق في جميع المجالات الأخرى.

"هل هناك حروب عادلة ؟تساؤل طرح ضمن كتاب مايكل والز* الحروب العادلة وغير العادلة حيث توجد بخليج وستمنستر (westminster)بلندن لوحة تذكارية بأسماء كل قادة الطائرات المقاتلة (المطاردة) الذين سقطوا في المعارك أثناء الحرب العالمية الثانية بينما لاتوجد أية لوحة بأسماء طياري الطائرات المقنبلة اللذين سيبقون دائما مجهولي الهوية نظرا لحجم الخسائر المرتفعة والمسجلة في صفوفهم لأن الاوائل يقاتلون وفق قواعد الحرب ضد وحدات أخرى، بينما كان الاخرون يخوضون نوعا من القتال يطرح قضية أخلاقية لكل كائن بشري لأنهم شاركوا بطريقة مباشرة في إبادة مدنين أبرياء."[2]

مع تباين السياق التفسيري للحرب العادلة يتساؤل"والتزر"حول ما لاحظه من وجود لوحة تذكارية تخلد أسماء القادة العسكريين اللذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، هنا يبدو الامر عادي ولكن الغريب في ذلك والذي يبعث على الدهشة أن هاته اللوحة لاتحمل سوى أسماء القادة اللذين قاموا بالحرب وفق قواعد الحرب، أي أن قيامهم بالحرب كان قانونيا عادلا أما اولئك المشاركين في وحدات القتال فحسب لايحق لهم أن تذكر أسمائهم، هنا نلتمس مفارقة تبعث في ذاتناعلى القول أن القتال وفق الحرب العادلة مقدس وقانوني وترحب به الدول وتمنحه الشرعية.

"لقد كانت الحرب العالمية الاولى والثانية، حربا بين حكومات قادها الحكام وخاضتها الجيوش وكان الهدف منها هو إحراز نصرعسكري يزيد المنتصر وزنا سياسيا أو ثراء اقتصاديا أو هما معًا، وكانت الضحية هي الشعوب في كل مناطق الصراع، وكان النصر في تلك الحروب سواء كان للحلفاء أو لدول المحور نصرًا

---

[1] سالم حسين العادي،**نظرية الحرب العادلة من منظور فلسفي مايكل والتزر**،مرجع سبق ذكره،ص55نقلا عن
Charles Guthrie,Michael Quinlan,Just War theJust War,Tradition,Ethics in Modernae Warfare,New York,2007,p35

* **مايكل والتزر:**(1935،...) من أهم وأبرز فلاسفة الاخلاق والسياسة في القرن العشرين من الذين شغلوا أنفسهم بالحرب العادلة، كما يظل كتابه البارز في هذا المجال هو الحرب العادلة وغير العادلة لسنة (1977) أحد الاسهامات المهمة حول المبادىء الاخلاقية للحرب .(انظر حمدي الشريف، مفهوم الحرب العادلة، ص2)

[2] جان فرانسوا دورتي،**فلسفات عصرنا تياراتها مذاهبها وأعلامه وقضاياها** ،تر ابراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008، ص 226

للحكومات والسياسات وفخرًا للجيوش المنتصرة، ولكن الشعوب في كل هذه البلاد المتحاربة ظلت هي التي تدفع ثمن النصروثمن الهزيمة وثمن الهدم وثمن إعادة البناء."[1]

الحرب عندما تضع أوزارها تكون نتائجها قد حسمت بين منتصر وأخر منهزم، ولكن المدقق لمجرياتها يرى أن المنهزم في هاته الحروب هي تلك الشعوب المتطاحنة فيما بينها لقد أرهقتها الصراعات المدمرة قبل وأثناء وبعد إنتهاء الحروب، أما الحكومات فهي وحدها المنتصرة لأنها تقف وراء الستار لتشاهد وفقط مسرحية العنف دون أن تشارك في ذلك.

ويضيف والزر قائلا"إن القنبلة التلقائية للمدنين التي كان هدفها زرع الرعب ليست طريقة أخلاقية وعادلة للقيام بالحرب، إلا وفقط إلا إذا كانت المجموعة المقاتلة في خطر الزوال المطلق هنا تكمن عقدة المسألة من بإمكانه أن يحكم ومتى وبأية مقاييس على ما إذا كانت الامكانيات المستعملة في نزاع ما مقبول أخلاقيا في حالة بعينها، وهي القنبلة الانجليزية للمدن الالمانية أثناء الحرب العالمية الثانية، يعتقد مايكل والتزر أنه يمكن الدفاع عنها أخلاقيالمّا كانت انجلتر وحدها في المعركة، وكانت الجيوش الألمانية تحرز الإنتصارات في أوروبا كانت الحاجة الى استخدام هاته القنبلة، لكن منذ التحولات لمسار الحرب وبدء إحراز بعض الانتصارات من الحلفاء لم يعد هناك أي شيء بإمكانه تبرير مواصلة سياسة الرعب."[2]

في الواقع المعاش حيال تلك الحروب التي قامت في أوربا طرح والتزر تساؤلا مفاده:هل من الأخلاقيات استعمال تلك القنابل في أوساط المدنيين بغية بث الرعب؟ لنجده يقول بأن قد تدفعنا بعض الحروب القيامخوفا من الانقراضوالزوال للمجتمع الانساني، وبذلك لكن من غير اللائق مواصلة استخدام سياسة الرعب خاصة بعد تحقق الانتصارات ضمن هذه الحروب.

ثانيا: التبرير الاتيقي للحرب العادلة في فكر والتزر :

مايكل والتزر نجده يدافع عن أخلاقيات الحرب العادلة ويقدم تبريرا لأستخدام القنابل أثناء الحرب فهو يبيح استخدامها في حال أن الدولة تضطر الى القتال في وجه وحدات قتالية متعددة ولكن ما إن هدأت الاوضاع فليس هناك من دافع للجوء الى استخدام هاته القنابل وكأن حال لسان الفيلسوف السياسي يقدم تبريرات أخلاقية للحرب ضمن ظروف وملبسات خاصة ،ولكنه في المقابل يرجح زوال هذا الاستثناء بزوال الاسباب التي تدفعنا الى الحرب.

"صدر كتاب مايكل والزر سنة 1977بعد الرهان الامريكي بالفيتنام المعنون ب"حروب عادلة وغير عادلة "يتحدث عن الاخلاق والعلاقات الدولية "ويسجل إعادة تجديد تقاليد الحرب العادلة كماتمثلت في السنوات الاخيرة، ولهذا السبب الاخلاق في العلاقات الدولية تهدف الى تحليل الرهانات الاخلاقية الاصلية في العلاقات بين الحكومات ما يعني التساؤل ليس فقط فيما يخص المعايير الأساسية المتعلقة بأسس(الحق

[1] السيد محمد الشاهد، **الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم**،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط،2000، ص321

[2] جان فرانسوا دورتي، **فلسفات عصرنا تياراتها مذاهبها وأعلامه وقضاياها** ، ص 226

في الحرب)و(الحق داخل الحرب)ولكن أيضا فيما يتعلق بتآكل المنح التقليدية الخاصة بترأس الحكومات ومستقبل الديمقراطية."[1]

إن الكثيرمن الاشكاليات تستفز الذات الانسانية من بينها تلك الاهتمامات بالحرب العادلة والتي نجدها تتمحور ضمن رهانات الأخلاقيات المعاصرة بين مختلف الشعوب، وهذا الاهتمام ربما يرد الى اعتقاد نجده راسخ في السؤال الذي يطرح بحدة ازاء ممارسة الحرب وبالتحديد ضمن معايير وأسس القيام بالحروب وعليه فمتى نتكلم عن الحق وعلاقته بالحرب هل قبل الشروع في الحرب من منطلق القول بأنه لنا الحق في القيام بالحرب أم لايمكن الحديث عن هذا الحق الا عند القيام بالحرب؟

"إن حرب الفيتنام واجب إنساني أمريكي حسب مفهوم السياسة الامريكية لما هو إنساني وإن هذا الواجب خُلقي مقدس، وينبغي أن يهب الأمريكيون لأدائه بكل قوة وحزم، على هذه الصورة من التفكيروالتعبيروفساد المعايير بالنسبة للجوهري العام من القيم إنسانياأوخلقيا أو تعددها وتضاد مرجعياتها، تهتز كل القيم الانسانية والخلقية على الخصوص وتصبح إبادة هتلر لملايين البشرمبررة من وجهة نظر تأخذ بالقيم من منظور نازي."[2]

وعليه ندرك أن الحديث عن الحرب العادلة في الفكر الفلسفي مازال يحمل في طياته العديد من الرؤى والتأويلات وذلك بغية جعل هاته الحرب ذات بعد انساني أكثر من كونها فعل عدواني.

يرى والتزر"إن التصرف الصحيح والاخلاقي يتمثل في المقام الأول في عدم شن الحرب، وفي حالة الرد على اعتداء احترام قوانينها التي يحددها القانون الدولي، لكن هذه القوانين غير كاملة وغامضة، وهذا هو السبب في أن المسألة الاخلاقية تنطرح أحيانا مهما كانت الحالات ومهما كانت القررات التي تتخذ، بل إن هذه المسألة الاخلاقية أساسية بالنسبة للذين لايريدون - الديمقراطيات الغربية - إلا خوض حروب عادلة، عبر هذا الصنف من الامثلة يبنى والتزر محاججته بخصوص ظروف الحرب العادلة وبخصوص سبل العمل الاخلاقي في الحرب، أي كيف ينبغي للمجموعات السياسية المؤسسة على الديمقراطية والمُمتلكة لقيم أخلاقية إنسانية أن تقود الحرب. "[3]

إن إحدى الافكارالاساسية والتي دافع عنهاوالتزر في مؤلفه المذكور أنفا هي اعتباره أنه من اللائق أخلاقيا عدم الخوض في الحروب، ولكن اذا ما اقتضى الامر دفاعا لدرء الاعتداء ينبغي الالتزام وفق ماتنص عليه القوانين الدولية، ولكن بالنظر الى غموض هاته القواعد القوانينة يترك المجال مفتوحا للكثير من التاويلات الأخلاقية للحروب وهل من الواجب أن تقوم دول تتزعم العالم وتحتكم الى الديمقراطية وتنادي بالحرية وتناضل من أجل الانسانية بدفاعها المزعوم عن حقوق الانسان أن تلجأ الى الحروب وتطلق عليها الحروب العادلة!

"ينطلق والتزر من مجموعة استفهامات عن الحرب العادلة أهمها:

كيف يمكن لنا أن نفهم الحقيقة الأخلاقية للحرب، وبالإعتماد على مقاربة كيف يمكن للجنود أن يحاربوا مالم يكونواعلى قناعة بأن حربهم عادلة؟

---

[1] Michela Marzano,**l'éthique appliquée**, FacultéSHS Sorbonne,Université Paris Descartes)p76.

[2] محمود عكام وآخرون، **من أجل أخلاق أفضل للقرن الحادي والعشرين**، فصلت للدراسات والترجمة والنشر،أبحاث الموسم الثقافي الثاني لمنتدى الثقافة والفكرديترويت،الولايات المتحدة، سوريا،ط 1999،1، سوريا، ص155

[3] جان فرانسوا دورتي، **فلسفات عصرنا تياراتها مذاهبها وأعلامه وقضاياها** ، ص226

ثم كيف يمكن لنا نحكم على آخلاقية أولاآخلاقية المعارك؟خاصة أن هناك إحرجات عديدة تحكم الحرب منها عليك الانتصار والقتال العادل؟حقيقة الموقف بين الاعتداء والحياد؟وعلى من تقع المسؤولية في الحرب."[1]

والتزر طرح عدة تساؤلات عند تحليله للحرب العادلة وعلاقتها بالاخلاق عن طريق مقاربة يرى فيها أنه من المفترض على الجنود أن يكونوا على قناعة تامة بأن حربهم عادلة و اذا لم يكونوا على وعي بذلك فما الداعي لخوض غمار الحرب والمجازفة بهاته الارواح وعليه فإن الاستراتيجيات الحربية تقوم مسبقا بتعبئة الجانب النفسي والروحي للمحارب حتى يستطيع مواصلة الحرب دون التراجع عن هدفه، بالاضافة الى ذلك يتساؤل والتزر بقوله كيف لنا أن نحكم على حرب ما بأنها أخلاقية وأخرى لأخلاقية؟ فكل طرف يحمل في ذاته اتهامات اجاه الطرف الاخر، كما يحمل حكما على هذا الاخر بوصفه ظالما ومنتهكا للحقوق الانسانية وتجريمه بإطلاق الاحكام الجائرة في حقه.

"للإجابة عن هذه الاستفهامات يقدم الفيلسوف جملة من الاطروحات منها:

1- ضرورة الاقرار بصعوبة وتعقد بعض القرارات الخاصة التي تعود الى تركيبة العالم.

2- إذا كانت اللغة تعكس العالم الذي نعيش فيه، فإن القاموس الأخلاقي يعتبر من طبيعة مقبولة وثابتة وعامة ويمكننا من إصدار أحكام جماعية مشتركة

3- إن الحياة الاخلاقية ليست حياة فردية بقدر ما ماهي حياة جماعية في جوهرها."[2]

يقدم والتزر مجموعة من الاجابات الترجيحية لتلك الاستشكالات التي طرحها بقوله أنه من الاهمية أن نعي بأن هناك قرارات تخضع الى تركيبة العالم مما يدل أنه قد لاتكون هاته القرارات في صالح الجميع ولكنها تخدم الاغلبية، ولو أنها تضر بالبعض إلا أنه من الواجب علينا تقبلها والرضى بها، ذلك أننا نحيا في مجتمع نخضع الى نواميسه لتختزل الذات البشرية وتتلاشى في كينونة الوجود الجماعي.

"يواجه مايكل والتزر الفيلسوف السياسي النظرية القانونية الغربية- دون أن يذكرها للأسف– للحرب العادلة، ورغم أن المناقشة حول الحرب العادلة وظروفها غير إعتيادية على نحو واسع فإنها جوهر الفكر السياسي والقانون الدولي منذ عصر النهضة الاوروبية تبلور منذ تلك الفترة ماأسماه والتزر النموذج أو الصيغة الشرعوية، التي تدرج العنف ضمن مجموعة قواعد سمّاها الفيلسوف بحق "معاهدة الحرب"التفرق الجغرافي والتاريخي للأمثلة المختارة من والتزر، يغري أو يوهم بفكرة حيث أن التقنين للحرب كوني كلية."[3]

ثالثا،مايكل والتزر والتقنين الواقعي للحرب العادلة:

يدرج والتزر الحرب العادلة كما وسبق أن ذكرنا ضمن شرعية القانون الدولي، ليجعل الحرب تتمتع بكافة الصلاحية في قيامها، فجعل الحرب مقننة يمنحها الكثير من الامتيازات أيضا ولا تستطيع أي دولة أن تقف في وجه هاته الحرب وإن فعلت ذلك تبدو أنها تخالف التشريع العالمي وتطبيقاته، وبالتالي يجب معاقبتها

[1] حسين العادي، **نظرية الحرب العادلة من منظور فلسفي ميخائيل والزر**، مرجع سبق ذكره، ص 56

[2] حسين العادي، **نظرية الحرب العادلة من منظور فلسفي ميخائيل والزر**، مرجع سبق ذكره57

[3] جان فرانسوا دورتي، **فلسفات عصرنا تياراتها مذاهبها وأعلامه وقضاياها**، ص226

والتصدي لها لأنه من هذا الذي يجرأ على الوقوف في وجه القانون الدولي وأية قوة تحميه من جبروت قواعده حين مخالفتهالها.

"تقوم فلسفة والتزر على معارضة الطرح السلمي والواقعي للحرب فبالنسبة للطرح الأول أي السلمي فهو في نظره ينكر الحرب بإعتبارها جريمة، والطرح الثاني يرفع عن الحرب جوانبها الاخلاقية ليؤكد أن الحرب تكون في بعض الحالات عادلة ومشروعة وإن كان سير أحداثها قد يطرح مشكلات أخلاقية لذلك عمل على تشكيل نظرة أخلاقية واقعية حول الحرب."[1]

واقعية والتزر جعلته ينتفي على الحرب إجرامها ويؤكد باستمار على أن الحرب تقام لتحقيق العدالة، فالحرب متى إكتسبت الشرعية فهي واقع حضاري وإنساني لامفر منه سوى التسليم بتصوره .

"ينبغي القول أنه بالنسبة الى مايكل والزر يرى"بإن مبادئ الحرب العادلة اليوم ضمن نظرية الحرب العادلة والتي تم الاجماع عليها وفق تحديد المبادئ الرسمية التي تبررالقيام بالحرب، فهذه الاخيرة تعتبرعادلة فقط عندما تكون هناك قضية عادلة لإطلاق العنان لها تعلن عنها سلطة مختصة."[2]

ليؤكد والتزر أن العالم الذي نعيش في نطاقه لايعيش أفراده عبثا أو بمحض الصدفة ولكن عندما تكون هناك قضية عادالة نحاول الدفاع عنها فإن لم تنجح المساعي الدبلوماسية السلمية فإننا نلجأ الى الحرب والتي تكون حربا عادلة بمقتضى الجهة المختصة التي تدفعنا الى مناصرة القضية.

"الحرب حسب هذه النظرية مؤطرة قانونيا تحترم الجيوش معاهدات، وقواعد القتال، وتستعمل أسلحة تمكن من تجنب قتل المدنيين والقتل غير المشروع للمقاتلين يكرر والتزر على امتداد كتابه أن "نظرية الحرب العادلة " تتمثل في اقتصارها على الوحدات المقاتلة فقط بهذا يثير قضية مسؤولية الدول عن اندلاع النزاعات لكن أيضا مسؤولية الجنرالات والمقاتلين وواضعي الاستراتيجيات."[3]

والتزر يبدو أنه يقدم لنا تحليلا وافيا عن أطر الحرب العادالة والتي يظهر حسب تحليلاته أنها تقوم وفق أخلاقيات ومبادىء انسانية يحترم من خلالها المقاتلين حياة المدنيين الابرياء والعزل وتستند الى استراتيجيات محددة تستهدف الوحدات القتالية للعدو.

"لقد أفاض والتزر في مؤلف من مؤلفاته في تفصيل مايسمى ب(آخلاق الطوارىء) Emergency Ethics وهو يرى أنه عندما نكون في خطر شديد أو عندما نواجه إرهابا أووحشية متطرفة يمكن أن نتجاوز ونتجاهل المعايير الاخلاقية الصحيحة التي تحكم عدالة الحرب، غير أن والتزر يرى أن الاحتكام إلى الضرورة العليا ينبغي أن يخضع إلى شرطين :

أولهما:أن يكون الخطر وشيكا وكلمة (وشيكا) في هذا السياق تحمل معنيين، بمعنى أن الخطر يجب أن يكون حاليا وحقيقيا (فالخوف من الخطر المستقبلي ليس كافيا)، أما الشرط الثاني فيكمن في الخطر الذي يجب أن يكون من نوع غير عادي ومرعب وبعبارة والتزر يجب أن يكون الخطر صادما لضمير الانسانية."[4]

---

[1] سالم حسين العادي،**نظرية الحرب العادلة من منظور فلسفي ميخائيل والتزر**،مرجع سبق ذكره،56

[2] Michela Marzano,**l'éthique appliquée** ,p76

[3] جان فرانسوا دورتي، **فلسفات عصرنا تياراتها مذاهبها وأعلامه وقضاياها**، مرجع سبق ذكره، ص228

[4] حمدي الشريف، **مفهوم الحرب العادالة عند مايكل وولتزر**، pdf ، ص17

بناء على والتزر نجد أنه عبر عن أخلاق الطوارىء في حال اللجوء الى الحرب عند مداهمة الخطر الذي يشكل تهديدا على الحياة الانسانية، فهو يطرح شرطين أساسين يجعلنا كلمنهما نقوم بالحرب وبل ونتجاوز تلك المعايير الاخلاقية للحرب في حد ذاتها أولاها هي الشعور بالخطر الحقيقي كتهديد للحياة وثانيا عند ما يكون هناك حدث غير عادي كرعب الارهاب مثلا حيث يشكل خطر أكيد وجسيم على الحياة ولايستدعى منا ذلك النظر في أخلاقيات الحرب لأن ذلك قد يكلف الانسانية عناءا أكبر وخسائر أكثر فالارهاب لن يمنحنا الوقت الكافي للتفاوض معه إنه ألة حربية خفية مدمرة إلا لم نسرع في التصدي لها نكون قد خسرنا المعركة بلا شك.

"يشير مصطلح (Just PosteBellum)، الى العدالة بعد الحرب وهو الركن الثالث والأخير للحرب العادلة عند والزر، وهو ينصب على المبادىء التي ينبغي أن تحكم العدالة بعد إنتهاء الحرب وتعد عدالة مابعد الحرب ركن حديث من أركان الحرب العادلة، وهو يناقش مشكلات من قبيل نزع السلاح العسكري؛ وإعادة إقرار النظام عقب إنتهاء الحرب والعقاب ومحاكمة مجرمي الحرب، والتعويض، وإبرام معاهدات سلام عادة لتعزيز التسوية والمصالحة بين الأطراف المتنازعة، وإعادة الاصلاح السياسي والاقتصادي."[1]

ليس هناك أدنى شك أن دراسة الحرب لاتتوقف عند اندلاعها فقط ولكن الكثير من الأبحاث تعالج مسألة الحرب حتى أثناء إندلاعها وبعد أن تضع الحرب أوزارها، ولايقتصر الامر على ذلك فحسب، بل هناك من يقرن دراستها بمسألة العدالة وهذا ما طرحه والتزر كغيره من الفلاسفة السياسين في الحقبة المعاصرة بأن تحقق العدالة هو ركن هام في قيام الحرب العادلة حتى بعد إنتهائها.

"إن وصف غزو أفغنستان ب(الحرب العادلة)، بحسب رأي بعض المثقفين الأمريكيين الذين وقعوا الرسالة، جاءت بالضد من قناعة أغلبية مثقفي العالم، من أنها كانت غزوا مبيتا ومعد من قبل البنتاغون والادارة الامريكية وليست مجرد ردة فعل للرئيس الامريكي بحيث لايخوض موقعوا الرسالة،ومن بينهم مبشرون بنهاية التاريخ(فرانسيس فوكوياما) وبصراع الحضارات(هنتغتون) و(ميكائيل والتزر) مبتكر السؤال حول حقيقة وجوب حروب عادلة وأخرى غير عادلة في تفاصيل التطبيقات غير السوية للإدارة الامريكية، منذ ولاية الرئيس الامريكي الاسبق (رينالدريغان) في أغلب الاحيان."[2]

لقدوصفت الادارة الامريكية حربها ضد أفغانستان بأنها حربا عادلة، ليبني العديد من الفلاسفة والمفكرين تصوراتهم حول حقيقة هاته الحرب العادلة من بينهم مايكل ولتزر بقوله أن هناك حروبا عادلة وأخرى غير عادلة، لنجده يتحدث عنها بتحفظ ودون الخوض في نوايا السياسة الامريكة وما تحمله من خبايا اتجاه دول العالم قاطبة واتجاة الدول العربية خاصة.

"يبدو أن الاعتراض على الحرب الامريكية لم يكن ناتجا عن موقف أخلاقي بحت، من عدالة أوعدم عدالة مثل هذه الحروب، التي تشنها حكومة الولايات المتحدة الامريكية على العالم، فهم بشرو لهذه الحروب، ولكنهم ظلوا يوهمون أنفسهم والعالم:أن تلك الحروب حروب نظيفة وحرب جراحية، وحرب عن بعد، وإنها حرب الصفر من القتلى في صف المهاجمين من القوات الامريكية وحلفائها على حد زعم :توماس فريدمان إن نيران هذه الحروب لاتقتل الا الارهابين والمارقين أما العدد المعقول والنسبي من القتلى فموتهم ناتج عن

---

[1] حمدي الشريف، **مفهوم الحرب العادالة عند ميكائيل وولتزر**،مرجع سبق ذكره،ص18

[2] عبد الكاظم العبودي،**أخلاقيات البحث العلمي**،ج2،أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف البخاري حمانه، كلية العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران الجزائر،2009 -2010 ، ص547

خلافات وصراع بين كيانات سياسية أوميليشيات واباطرة الحروب اضافة الى مايسقط من الضحايا بسبب عمليات انتحارية وقتال بين المتمردين أنفسهم."[1]

الحرب الامريكية الاخيرة اتخذت لنفسها ذرائع وهمية، محاولة إيهام العالم بمصداقيتها ويبدوا أنها هي الأخرى أقنعت ذاتها بأحقيتها خيال التدخل في الشؤون السياسية للشعب العراقي، وعليه نجد أنها أطلقت عدة تسميات على هاته الحرب من قبيل الحرب النظيفة حرب الحرية والديمقراطية الحرب العادلة والانسانية من أجل رفع الظلم والقهر والعدوان والعبودية والاستغلال واعترافا برهاناتها الانسانية على حد زعمها.

الى جانب كل يمكننا القول ":أن الحرب تمثل أوْج المجتمعات الحديثة، حقا إذ هي الظاهرة الشاملة التي يتأتى لها، بإعراضها المفاجئ والمروع لانسياب زمن السلم القرير إنها مرحلة التوتر الاأقصى في الحياة الجماعية، مرحلة الحشد العظيم وتضافر الطاقات والجهود التي تقتلع الفرد من مهنته وعائلته وأوقات فراغه، لأنها تهدم بوحشية دائرة الحرية وتقضي على القلق والسكينة دونما تمييز فلا أحد يستطيع أن يبقى على حياد ويزاول مهنة أخرى إذ ليس هناك من لا يصلح بوجه من الوجوه لأن يُستخدم في الحرب التي هي بحاجة إلى كل الطاقات والجهود."[2]

لعل الحرب كظاهرة منتشرة في المجتمعات تعبر عن أبشع صور القلق والوحشية والاستبداد، وهذا من خلال تجسيد جميع أشكال الاأقتتال والتناحر، إنها الهدم لإنسانية الانسان ومن ثم القضاء على القمع والإضطهاد وبهذا فهي تعكس الميل الطبيعي إلى العنف والعدوان وعلى هذا الأساس يغدو الجميع مشاركين في موجات الحرب بإعتبارهم القوة أو الوقود التي تحرك ديناميكيتها في جدل تصاعدي وبحمولات فكرية وإيديولوجية متناقضة في أهدافها ومتنافرة في مبادئها.

خاتمة:

وختاما نخلص الى القول أن الفكر الوالتزري أراد أن يقدم تبريرا للحرب العادلة، إنطلاقا من إعتباره هناك دوافع فعلية وأسباب واقعية قد تدفعنا للجوء الى مثل هاته الحروب ليس هذا فحسب بل يغدو بحثه أبعد من ذلك بكثير، لنستخلص بأنه يرى بأن الأخلاقيات إذما تحققت في الحرب فإنها تتحقق في مختلف المجالات، ولن يكون ذلك إلا وفق ركن أساسي ضروري أن يتحقق أثناء الحرب العادلة وحتى بعد إنتهائها ألا وهو العدالة، لنجده أيضا يقدم تبريرا للإستخدامات النووية بإعتباره أننا قد نلجأ إليها دفاعا ع النفس أو لدرء الإعتداء أو خوفا من فناء البشرية، إنه من أجل الحفاظ على البشرية نلجأ الى الحروب والاستخدامات النووية ونحن بذلك لانعي أننا نساهم بشكل أو بآخر في فناء البشرية ...إنها مفارقة المتناقضان يجتمعان في أمر واحد أي منطق هذا...الذي يدفعنا في الوقت الراهن إلى حروب مقنعة مختلفة وبتسميا ت عدة منها الحرب النظيفة الحرب الديمقراطية الحرب الانسانية والتي جميعها لاتغدو إلا أن تكون صور تعبيرية عنما آلت الية الحروب االحاضرة و التي تمهد للحروب المستقبلية، فأي مصير توشك أن تقع في شيباكه الإنسانية في المستقبل؟

---

[1] المرجع نفسه،ص548

[2] روجيوا كايو، **الانسان والمقدس**،تر سميرة رشا، مركز درسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،ط1،2010 ،ص235

المراجع:

1-الشاهد السيد محمد، **الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000

2- الشريف حمدي ، **مفهوم الحرب العادالة عند مايكل وولتزر**، Pdf

3 - العبودي عبد الكاظم ، **أخلاقيات البحث العلمي**،ج2، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف البخاري حمانه، كلية العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة، جامعة وهران الجزائر،2009 – 2010

4-العادي سالم حسين ، **نظرية الحرب العادلة من منظور فل سفي ميخائيل والتزر** ، المجلة الجامعية الزاوية، العدد الثامن عشر، المجلد الاول، د(ط،س).

دورتي جان فرانسوا، **فلسفات عصرنا تياراتها مذاهبها وأعلامه وقضاياها** ،تر ابراهيم صحراوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008

5- القيم علي، **الأخلاقيات والحرب**، مجلة المعرفة ، العدد614، نوفمبر2014، ص14

7- الكيالي عبد الوهاب الكيالي،**الموسوعة السياسية**،ج1،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1974

8- روجيوا كايو، **الانسان والمقدس**، تر سميرة رشا، مركز درسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،ط2010،1

9- عكام محمود وآخرون، **من أجل أخلاق أفضل للقرن الحادي والعشرين**، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، أبحاث الموسم الثقافي الثاني لمنتدى الثقافة والفكرديترويت، الولايات المتحدة، سوريا، ط1، 1999

10- مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،**التواصل**،جامعة باجي مختار عنابة الجزائر،عدد34، جوان2013

11 - Charles Guthrie,Michael Quinlan,Just War theJust War,Tradition,Ethics in Modernae Warfare,New York,2007

12- Michela Marzano,l'éthique appliquée, FacultéSHS Sorbonne,Université Paris Descartes)